

## من بحوث أسبوع الصدا الرابع

# نخب سياسية.. نخب ثقافية

سعد محمد ربيع

### مدخل

النخب عموماً، هي الفئات التي تتميز عن بقية أفراد المجتمع من خلال قدرتها على الفعل والإنتاج في مجالها المحدد - سياسة، اقتصاد، ثقافة، علوم، الخ - وحين نقول نخب سياسية فلا بد من أننا نعني بها الأفراد والجماعات التي تمتلك خطايا سياسية، وتفترض نفسها قائدة أو موجهة للمجتمع، أو لمكوناته، منه، وتعتنى من ثم إلى الفوز بالسلطة السياسية عبر وسائل مشروعة أو غير مشروعة. وبما يقابل فإن عبارة نخب ثقافية تعيننا إلى أفراد وجماعات أيضاً، تهتم بالشأن الثقافي، وتعتنى لممارسة التأثير على ذهنية المجتمع وقيمه ومعتقداته وأفكاره وأخلاقه وحتى عاداته وتقاليده. ولسوء الحظ لا توجد معايير دقيقة أو حدود صارمة ونهائية يمكننا من خلال اعتمادها معرفة وفرز من هم في ضمن النخب السياسية أو الثقافية، ومن هم خارجها. وفي معجم (علم الاجتماع) الذي حرره البروفيسور دينكن ميشيل يعرف النخبة بأنها جماعة أو نخبة من الأفراد يعترف بعظمتها في التأثير والسيطرة على شؤون المجتمع، وهي الأقلية الحاكمة التي تتمتع بسلطان القوة والنفوذ والتأثير أكثر مما تتمتع به الطبقة الحاكمة، والنخبة بهذا المعنى تكون أقلية متماسكة، إلا أن البروفيسور ميشيل يعود لطغي تعريفها للنخب بتعددية مفهوم السيطرة السياسية ليعني "أي جماعة أو صف من الناس أو مجموعة من الأفراد يملكون بعض الصفات والقباليات التي يضمنها المجتمع كالتأثير العقلية العالية، المراكز الإدارية الحساسة، القوة العسكرية، السلطة الأخلاقية، أو السمعة العالية والتأثير الكبير. لكن هؤلاء الأفراد الذين يتمتعون بهذه الصفات قد يتميزون بالتمسك أو الفرقة والانقسام وقدراتهم في التأثير في الجماهير تفوق قدراتهم في حكم الجماهير." (١)

وقد يكون في هذا المقام تمييز ادغار مورانا بين نمطين من المثقفين، وهما "Intelligentsia" و "Intellectual" مفهماً حيث المفهوم الأول شموني وروسي، يبرز نمطه في وضعية تنصف بجمهرة غير مثقفة

وبسلطة بربرية، أما الثاني فناتئ وفرنسي ويبرز نمطه داخل مجتمع أقل حدة في تناقضاته، تنتشر فيه الثقافة داخل مجال واسع منه (٢). يتحدث جوليان بندا من المثقفين الذين يعيشون "في ما يشبه الحيز الكوني، غير مفيد لا بحدود قومية، ولا بهوية عرقية وهؤلاء على وفق ما يرى "عصبة صغيرة من الملوك/ الفلاسفة الذين يتحلون بالموهبة الاستثنائية، وبالحس الأخلاقي الفذ، ويشكلون ضمير البشرية" (٣) غير أننا في هذا المقام نقصد بالمثقفين شريحة أوسع بكثير من تلك العصبية الصغيرة.. شريحة تتميز عن غيرها بأن ما يهمها، أو ما يشغلها هو حس المعنى، أو قضية المعنى، مثلما يرى دوركايم ومحمد أركون.

وحيث أن البناء الفوقي الأيديولوجي يكون هو العنصر المهيمن في المجتمعات السابقة على الرأسمالية كما يقول سمير أمين فإن الاهتمام والانهمام بالسياسة يسوق الاهتمام والانهمام بالاقتصاد والتنمية، وفي أغلب الأحيان يكون هو السبيل الأسهل للتحكم والسيطرة وممارسة السلطة.. لن يكون مصدر القوة الأول هو القدرة على الإنتاج المادي أو المبريء، في الساحل ومناورات السياسة، وهنا لن تكون والفضون والعلوم بل إيديولوجيا وإيديولوجيات محروسة بقوة السلاح تتحول هي الأخرى- أي الإيديولوجيا - إلى أداة قمع وإرهاب وسيطرة. ولذا انهمك المثقفون كما هو حال الساسة على التفكير بالسلطة السياسية أكثر

من تفكيرهم ببناء ثقافة عصرية للمجتمع. يقول أدونيس " إن المثقف العربي كان ينتج ثقافة، وفي ذهنه أنه يعمل لتأسيس نظام سياسي، كان متقللاً بهم السلطة. كان يعارض السلطة القائمة باسم سلطة أخرى تحل محلها، ولهذا كان نتاجه - أي دوره الثقافي - وظيفياً من جهة، وتساويفياً، من جهة ثانية. إما أنه يخدم قضية أو اتجاه، وإما أنه يسوغ ممارسة" (٤).

كانت الأطروحة الأيديولوجية تبدأ غالباً من خلال منطلق ونشاط ثقافي وأليات ثقافية وغائية ثقافية قبل أن تتلبس بلبوس السياسة. وثمة نخب، بدأت من مواقع الثقافة قبل أن تقتحم مواقع السياسة كما هو الحال مع كثير من الأبناء المؤسسين للحركات والأحزاب العربية، كما أن الماركسية والنفاشية والليبرالية كانت كلها أطروحات ثقافية قبل أن تتحول إلى تيارات سياسية.

وهناك سياسيون جاءوا من منطقة أجنبية وآخرون جاءوا من ثكنات العسكر، والأخرون، في الغالب كانوا يندفعون بتأثير من موجات ثقافية إجرانيا يغدو من الصعب فك الارتباط بين السياسي والمثقف لا سيما في بلدان العالم الثالث السياسية والثقافة تتحرق أحدهما الأخرى بقوة وعق. وإلحاح التمييز بين السياسي والمثقف إطار هذا المقال لنلجأ إلى العنصر الوظيفي، فالسياسي، هو من يكون شاعله السياسة والموقف السياسي. أما المثقف فهو من ينشغل بالعضلة الثقافية، بإنتاج القيم الثقافية ونشرها معتمداً وسائل التأثير في العقليات



والقيم والسلوك. يدخل المثقف منطقة السياسي حين ينتج خطاباً موجهاً للآخرين، فهو يبدأ من هذه اللحظة يرمي إلى التأثير والتغيير. وهو يقرا ويحلل ويفسر الحدث والظاهرة ويؤولها من أجل أن يؤثر ويغير. فالتأثير والتغيير ممارسات سياسيتان وهدفان سياسيان. وبدءاً من هذه اللحظة أيضاً تأخذ العلاقة بين المثقف والسياسي منحى إشكالياً.

يحاول السياسي أحياناً استعارة أو سرقه دور المثقف، وعمل مؤسسات السياسة من أجل تحقيق مشروعها السياسي، في مجتمع ما، سيؤول، في النهاية، بلا أدنى ريب، إلى تبدلات في النسيج الثقافي لذلك المجتمع. كما يحاول المثقف، في أغلب الأحيان، لا سيما في مناطق الاضطراب السياسي، أو الحراك السياسي العنيف، الدخول إلى منطقة السياسي، ومزاحمته في التأثير على مسار الحدث، وعلى قناعات المجتمع. وفي هذه الأثناء تشرع السلطة - أية سلطة - ومنها السلطة السياسية، باللعب في علاقتها بالمثقفين باليئتي الإقصاء والإدماع كي تشرز العصي على الأتواء من ذلك الذي من الممكن أن يمثل رغبة أو رهبة.

لسوء الحظ لم يجر تاريخ أو أرخنة تحولات النخب السياسية والنخب الثقافية وصراعات الأفكار والإيديولوجيات في العراق بصورة منهجية شاملة ويادوات التحليل الاجتماعي للثقافة والسياسة كما هو الحال في مصر، في سبيل المثال،

ومؤلفات " رفعت السعيد ومحمد حسنين هيكل وغالي شكري وعبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم وليويس عوض وغيرهم تعين أي باحث يسعى لتقصي تطور النخب على خلفية التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ذلك البلد. وأحسب أن هناك، عراقياً، عشرات ومئات الآف الوثائق من كتب وأطرايح جامعية وبحوث ودراسات منشورة في الصحف والدوريات المختلفة، ونشرات وبيانات لجماعات وتيارات وأحزاب وحكومات متعاقبة تشكل مادة أولية خصبة لأرخنة تلك التحولات منهجياً، وإن المرحلة المقبلة تهيئ فرصة مناسبة للباحثين والدارسين والمؤسسات البحثية والأكاديمية لخوض تجربة كهذه لها من أهمية علمية وتاريخية وسياسية وثقافية تمكن الأجيال الصاعدة من تحسس مواطن أقدامها من جهة، والتعرف على هويتها الوطنية من جهة ثانية.

تتكون النخب تاريخياً بتأثير عوامل سياسية واجتماعية شتى، داخلية وخارجية، وفي حاضنة ثقافية ما، ويبقى دور تحدرها الطبقي حاسماً في منحها صفاتها وخصائصها وطبيعتها، ومحتوى وشكل أطرها المؤسساتية وتوجهاتها الأيديولوجية. ولا يحدث كل شيء بفعل قوانين حتم تاريخي. أي أن مال ونجاحات وإخفاقات هذه النخب تقررها أيضاً الضغوطات والتحديات التي تواجهها، والتشوّهات العرضية التي تصيبها، ومصادفات التجربة التي تتعرض مسيرتها، تلك التي تعينها، أو تلك التي تعينها.

خرج الجيل الأول من النخب السياسية العراقية الحاكمة من تحت عباءة العسكر العثماني، ومن انخرط منهم في ثورة الشريف حسين في الحجاز، وقاد مع تأسيس الدولة العراقية الحديثة في العام ١٩٢١ المؤسسات الناشئة، أما الجيل الثاني فخرج مثل أسلافه من تحت عباءة العسكر أيضاً، وهذه المرة كان العسكر الراديكالي، فقاد سلسلة من الانقلابات في صراع دموي على الحكم منذ ثورة ١٤ تـوز ١٩٥٨ وفي الحالتين كانت النخبة العسكرية هي الحاكمة فعلياً، وحتى المدنيين من الساسة الحكام، باستثناءات قليلة، ارتدوا برز العسكر حيث غابت الشرعية الدستورية لصالح شرعية القوة والقمع والقهر. ولأن المجتمع المدني، والمدينة ذات التقاليد والمؤسسات العصرية لم يكونا قد وجدوا بعد، ولأن معظم هؤلاء واولئك كانوا متحدرين في الغالب من أصول ريفية - عشائرية، فقد امتزجت، ها هنا، تقاليد إدارة الكتنة مع تقاليد إدارة العشيرة مهددة ومؤسسة لدولة هجينة لا يمكننا بأي حال أن نسميها دولة

القانون والمؤسسات لحكم مجتمع من الصعب أن نطلق عليه تسمية المجتمع المدني. إن حزمة الشروط والعوامل والظروف الموضوعية التي أنتجت النخب السياسية العراقية هي ذاتها، إلى حد بعيد، التي أنتجت النخب الثقافية العراقية. وفي أوقات معينة كان التماهي بين النختين ظاهراً، على الرغم من بقاء العلاقة ملتبسة بينهما، فقد كانتا تتحركان ضمن حاضنة اجتماعية - تاريخية واحدة، وتتقاطعان في اللحظة التي تتباين فيها مواقفهما إذ يتبوا السياسي المركز تاركاً المثقف في الهامش. ولعلنا، انطلاقاً من هذه الحقيقة، نستطيع تاشير كثر من السمات والأمراض المشتركة بينهما، بدءاً من اللغة المستخدمة ذات الحمول السياسي/ الأيديولوجي الثقيل، وليس انتهاء بالازدواجية بين الفكر والسلوك. وتاريخياً كان هناك سوء فهم وربما سوء نية أيضاً في العلاقة بين النختين وقد خشى السياسيون منتجي الثقافة من الذين كانت عدتهم على الدوام المساءلة والشك وتخطي الخطوط الحمر، وربما المروعة كذلك، والتورية والغموض.

أنشأ التماس مع الآخر/ الغرب بوجهيه (الاستعمار والتمدن) نمطين من النخب السياسية، النمط الأول: هم الليبراليون وهؤلاء تحدروا أما من الطبقة شبه الإقطاعية الأقلية القديمة، أو من البرجوازية الناشئة. النمط الثاني: وهم الراديكاليون من قوميين وماركسيين تبنوا الفكر الاشتراكي برؤى مختلفة، وهؤلاء في غالبهم كانوا متحدرين من البرجوازية الصغيرة التي تكونت في كنف الدولة الفتية أو من أصول ريفية، أو كانوا عسكريتارياً ذات أصول ريفية خاصة القوميين منهم، أو ممن نشأوا في هوامش المدن التي تكونت مع الهجرة الواسعة من الريف إلى المدينة خلال أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي، ومعظمهم من المحافظات الجنوبية. وهذه الهوامش سيكون لها دور مؤثر في التوزيع الديموغرافي العراقي فيما بعد.. كان الحافظ لنشوء هذين النمطين هو ما يمكن تلخيصه بعبارة صدمة الاستعمار ووعي الخلف، وكانت هذه النخب تولد في العراق بالتوازي مع، أو بحكاية ما كان يحصل في مصر وبلاد الشام، أما الإسلام السياسي فنشأ في مرحلة تالية كرد فعل لمشروع صدمة أخرى ليس هنا مجال الخوض فيها.

ولم تكن ولادة الألتانجسيا، أي النخب الثقافية العراقية الحديثة بعيدة عن هذا المناخ. وقد تأثرت هذه النخب، وهي

كانت التغييرات الحاصلة مفاجئة ومتسارعة وصادمة بالقياس إلى قرون من التراجع والركود الحضاري امتدت لقرون منذ سقوط بغداد على يد المغول في القرن الثاني عشر الميلادي، وكانت التناقضات والإشكاليات والمفارقات التي راقت مسألة تأسيس الدولة العراقية قد انعكست بعق على طبيعة نخبها السياسية والثقافية الوليدة، حيث لم تستطع التخلص من بعض عقابيلها وتداعياتها حتى يومنا هذا.

١- (معجم علم الاجتماع) تحرير البروفيسور دينكن ميشيل - ترجمة الدكتور إسمان محمد الحسن - دار الرشيد للنشر - بغداد.. ١٩٨٠ /الصفحات: ١١٧ - ١٢١ /٢- (علم اجتماع المعرفة) الدكتور من خليل عمر - منشورات جامعة بغداد/ ١٩٩١ - ص ٢١٧، ٣- نـقلاً عن (صور المثقف) إدوارد سعيد... ترجمة: غسان خليل - ص ٢٢، ٤- (النظام والغمم) أدونيس - دار الآداب - بيروت.. ١٩٩٣ /١٥ - ص. ٢٥.

## (البوتقة) لآرثر ميلر وعواقب هيمنة الرأي الواحد



موجز، راج ميلر يبكي، أما اليوم، فهي المسرحية الأكثر تقيدياً من مسرحيات ميلر، الذي تويج العام الماضي من ٨٩ عاماً. وهناك إنتاج جديد لها من قبل شركة شكسبير الملكية، افتتح في مدينة ستارتفورد -أبون -افون، (مسقط رأس شكسبير)، ونقل إلى لندن يوم ٥ نيسان الماضي، وهو عرض رائع على نحو مثير، وملء بالقوة والجمال والحزن. وتروي المسرحية الأحداث الدقيقة تاريخياً التي وقعت في مدينة سالم -والتسمية عبرية بمعنى السلام -عندما يكتشف كاهن البلدة جماعة من النساء يرقصن في الغابة ليلاً، وهو أمر كان يحرمه بشدة البيوريتانيون المتزمتون. وينتشر حديث الحالة غير الطبيعية بسرعة، وسرعان ما تكون الطريقة لتجنب الواحدة الاتهام بأنها ساحرة هي اتهام غيرها. وأية محاولة لتقنين التهمة تؤخذ على أنها علامة أكيدة على أن هناك ارتباطاً بالشيطان.

ويستغل البعض هذه الفوضى للانتقام من أعدائهم أو لسلب أرض غيرهم من الناس فيتم سجن المئات، ويشق عشرون، في نهاية المطاف. ويقوم لين غلين الذي يمثل دور جون

بروكتور -الذي يرفض مسאיرة تلك الحماقة فيتهم بالتالي هو نفسه بالسحر والشعوذة -بتقديم أداء استثنائي رائع، فهناك موطنه نيو انكلاند الضخوم من البداية، وهو في النهاية رجل منحن لكنه غير مكسور. أما جيمس لورنسون الذي يقوم بدور نائب الحاكم فيسوء هنا استخدام القانون باسم السلامة العامة. وقد سمع الشخص الذي تبني عليه شخصيته المركبة "لدليل شبحي" بالتحقق

من الذنب. وهكذا ستكون تحيلات امرأة شابة كافية لإرسال شخص ما إلى المشنقة. إن مسرحية "البوتقة" تتفحص هنا كيف يمكن هستيريا ضد عدو غير مرئي أن تؤدي سريعاً إلى تجريد الغير من حقوقهم القانونية. فنجد القاضي يعلن في أحد المواقف: "... إن الشخص هو إما مع هذه المحكمة أو أنه لايد من أن يعتبر ضدها، ليس هناك من طريق بينهما". ومن الصعب، بعد أكثر من

ترجمة / عادل العالم

## مجلات

مجلة الثقافة الأجنبية - العدد الأخير

### وقضايا المثقف المعاصر

تشكل الثقافة الأجنبية رافدا مهما، ان لم يكن اساسيا، من روافد ثقافتنا المعاصرة، شعرا وقصة ورواية ونقدا واتجاهات ادبية وفنية مختلفة. واحد اكثر نوافذ هذه الثقافة استمرارية وغطاء في العراق هي مجلة (الثقافة الأجنبية) الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الثقافة، بجهود الاساتذة ياسين طه حافظ، رئيس التحرير، وناطق خلوصي، سكرتير التحرير، وكامل عويد العامري، وسلمان داوود محمد وغيرهم، ومساهمات العديد من الكتاب والمترجمين، الذين يتعمون القراء ويفتقونهم فصليا بخلاف ابداعات الثقافة العالمية الحديثة.

فقد تألق العدد الأخير، المزدوج الثالث والرابع /السنين ٢٠٠٦ /٢٠٠٥ من مجلة (الثقافة الأجنبية) بترجمات العديد من مؤلفي الافاضل. فهناك السريالية رومانسية ثورية، لمعان اكرم فاضل، ووظائف الجنس الادبي لاحمد خالص الشعلان، والظن وعلم النفس، لحسين سرمك حسن، والسيطرة الانجاسية،

لهناء خليف الدائني، ومناهج مطروقة وغير مطروقة في النقد المعاصر، لكازم سعد الدين، وفي النقد الادبي وتاريخ الادب لعقيل مهدي يوسف، واللحظة العبيثة في النظرية الادبية المعاصرة، لسهيل نجم، ونظرية استجابة القارئ والنقد، لرمضان مهليل سदान، ومواد اخرى من ترجمة اساتذة آخرين يضيق المجال لتذكر اسمائهم، فعندنا، وهي نصوص قصصية وفنية ومتابعات، في البودية والتراجيديا والدولة والخيال العلمي وروية العالم عبر عيون رومانسية.. إلى اخره، هذه الرومانسية التي ربطت للصدفة ما بين اول مقالة في هذا العدد واخر مقالة، حيث جاء في الاولى: ان السريالية هي المثال الاكثر ابهارة واثارة للدهشة لتيار رومانتيكي من تيارات القرن العشرين. وهو، من بين جميع الحركات الثقافية لذلك القرن، التي احدثت حمل التثوق الرومانتيكي لإعادة الطابع السحري للعالم إلى أعلى درجاته في التعبيروهو ايضا التيار الذي جسد وبالإسلوب الأكثر جذرية البعد الثوري للرومانسية، انتفاضة الروح والنورة الاجتماعية، (تغيير الحياة) (رامبو) و(تحويل العالم)(ماركس). تلك كانت النجمة القطبية المزدوجة التي وجهت الحركة منذ اصولها دافعة اياها إلى البحث الدائم عن اصولها التطبيقية والثقافية والسياسية المدمرة...

—غسان حسن —رعد زامل —حيدر الحجاج —وقصص لضياء الخالدي —لطفي جميل —محمد فاضل، وللتقارير والاستطلاعات والمواد النقدية الثرية.

### الرمز التراثي في تصميم المطبوع المعاصر

تأليف: معتر عواد غزوات



يرتبط الرمز التراثي في تصاميم المطبوعات بالهوية والخصوصية وهما من العوامل المهمة في استعمالها، وقد بحث الأستاذ معتر عواد غزوات في هذا الموضوع الحيوي واصدر كتابه (الرمز التراثي في تصميم المطبوع المعاصر) حديثا عن سلسلة (الموسوعة الثقافية) عبر عدة موضوعات بدأت بمدخل حول أهمية الموضوع وكان المبحث الأول حول أهمية الرمز في التصميم فيما تضمن المبحث الثاني دراسة الجوانب الفنية والتصميمية للمطبوعات وتضمن المبحث الثالث موضوعة الرمز التراثي كوسيلة اتصالية مهمة وكان الأخير تطبيقا على مطبوعات عراقية.

### المرافات

تأليف: أ.د. الطارث عبد الحميد حسن

عن مركز البحوث النفسية والتربوية في جامعة بغداد صدر للدكتور الطارث عبد الحميد كتاب جديد بعنوان (نموذج عراقى جديد لبناء السلام وتحويل الصراعات) تضمن مقدمة تفصيلية عن فصول الكتاب حيث اعتبر الباحث العراق نموذجا نظريا وعمليا لتحويل الصراع وبناء السلام متناولا استعراضا لأهم الفئات الأساسية لتأسيس هذا المفهوم وفي مقدمتها: الإنسان والمجتمع والوطن مع دراسة لمفهوم الصراخ وتحولاته في محاولة جادة لدراسة التجربة العراقية الاجتماعية تاريخيا ونفسيا.

### (عين)

### مجلة للثقافة والإيدام

صدر حديثاً العدد الفصلي السادس من مجلة (عين) التي يصدرها (مئتدي عين الثقافي) -براس تحرير المجلة محمد عزيز وقد تضمن العدد موضوعات ثقافية متنوعة منها: الخطاب الثقافي الجديد لعلي سعدون -الشعرية العربية لحسن الكعبي المؤسسة الثقافية ومفهوم الضمير الثقافي لجمال جاسم أمين -الحرب في النص التسعيني لهاشم لعبيبي -الغنية لن تـمر بهدوء لمحمد عزيز، إضافة إلى قصائد لعلي أنور

## إصدارات جديدة



### الثقافة

شعر: عبد الله حسين جلاب

صدر للشاعر عبد الله حسين جلاب ديوانه الجديد (الثقافة) وهو يضم مجموعة من قصائده الحديثة التي سبقتها مقدمة نقدية في (إيقاع النص) استبدل الشاعر فيها تسمية قصيدة النثر بـ(قصيدة الإيقاع) مع تطبيقات تسوغ التسمية الجديدة.

من قصائد الديوان: الريش -وردة المقابر -

سباعية -زهرة البرق -هدير بعيد -أبواب. من قصيدة (شجرة هناك) قوله: غزال البر طارت عنه الغزلان اليعسوب في مهب المناقير ريش الطاووس والفيماث غيمة الصفصاف غيمة الطلع

### نموذج عراقي لبناء السلام وتحويل

أ.د. الطارث عبد الحميد حسن